Route Educational & Social Science Journal

Volume 5(13),December 2018

Artical History

Received/ Geliş	Accepted/ Kabul	Available Online/yayınlanma
11.11.2018	23.11.2018	1.12.2018

الدور التاريخي للشريف محمد أبونُمَيّ الثاني

حاكم الحجاز وأمير الحرمين الشريفين

في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي

في التصدي للغزو البرتغالي للحجاز

The historical role of Sharif Mohammed Abunumi II

Governor of Hijaz and Prince of the Two Holy Mosques

In 10th century AH / 16th century AD

In confronting the Portuguese invasion of the Hijaz

د. محمد بن حسين الحارثي الشريف

Prepared by:

Dr. Mohammed bin Hussein al–Harthi al– Sharif

PhD in History and Civilization

(Independent Researcher)

Makkah

الملخص

- **عنوان البحث: الدور التاريخي للشريف محمد أبونُمَيّ الثاني حاكم الحجاز وأمير الحرمين الشريفين** في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي في التصدي للغزو البرتغالي للحجاز.
- **علاقته بمحاور المؤتمر:** ضمن محور: **الدراسات التاريخية والآثار: أعلام وشخصيات مؤثرة في التاريخ.**
- **أهميته، وأهدافه.**

أ) –الأهمية: تتمثل أهمية الدراسة في الجمع بين جانبين مهمين؛ هما مكانة الحجاز (الديار المقدسة) وقوة شخصية حاكم الحجاز الشريف محمد أبونُمَيّ الثاني في التصدي للغزو البرتغالي مسانداً الجهود العثمانية لحماية الحرمين الشريفين.

ب) –أهداف البحث:

1– بيان مكانة الحجاز وأوضاعه السياسية والاجتماعية في القرن العاشر.

2– التعريف بشخصية الشريف محمد أبونُمَيّ الثاني.

3– عرض جهود العثمانيين لصد الغزو البرتغالي على الديار المقدسة.

4– توضيح دور الشريف محمد أبونُمَيّ الثاني في التصدي للغزو البرتغالي.

الكلمات المفتاحية: مكة المكرمة. الشريف أبونُمَيّ الثاني. العثمانيين. الغزو البرتغالي.

Abstract

- **Title of the research:**

The historical role of Sharif Mohammed Abunmi II Governor of Hijaz and Prince of the two holy mosques in 10th century AH / 16th century AD

in confronting the Portuguese invasion of the Hijaz

- **Its relation with the themes of the conference:**

Within the topic: Historical Studies and Archeology:

Eminent personages in history.

- **Its importance and objectives:**

A. The Importance of the study represented in the combination of two important aspects: the status of the Hijaz (Holy Land) and the power of the character of the ruler of Hijaz Sharif Muhammad Abunmi II in confronting the Portuguese invasion, supporting the Othoman efforts to protect the two Holy Mosques.

B. Research Objectives:

1) Showing the status of Hijaz and its political and social conditions in the tenth century.
2) Introducing the character of the ruler of Hijaz Sharif Muhammad Abunmi II
3) Presenting the efforts of the Othomans in confronting Portuguese invasion of the Holy Land.
4) Clarifying the role of Sharif Mohamed Abunmi II in confronting Portuguese invasion

- **Keywords**: Makkah. Sharif Abunmi II. The Ottomans. The Portuguese invasion

المدخل: الأهمية والمقاربة المنهجية:

أ) –الأهمية: تتمثل أهمية الدراسة في الجمع بين جانبين مهمين؛ هما مكانة الحجاز (الديار المقدسة) وقوة شخصية حاكم الحجاز الشريف محمد أبونُمَيّ الثاني في التصدي للغزو البرتغالي مسانداً الجهود العثمانية لحماية الحرمين الشريفين.

ب) –منهج البحث: من منطلق أن طبيعة الموضوع (في كلياته وجزئياته) هي التي ترسم بالأساس ملامح **المقاربة المنهجية** التي ينبغي اعتمادها في البحث؛ ونظراً لطبيعة هذه الدراسة التاريخية، فقد فرض موضوع البحث استخدام الباحث المنهج الوصفي التحليلي؛ لبيان وصف وتطور الأحداث المرتبطة بالغزو البرتغالي للديار المقدسة.

المبحث الأول:

مكانة الحجاز، وأوضاعه السياسية والاجتماعية في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي.

أ–مكانة الحجاز وأهمية البحر الأحمر:

ما أن يذكر الحجاز إلا وتتوق النفوس شوقاً إلى تلك الديار المقدسة؛ فهو عند المسلمين في موقع القلب من الجسد؛ وموقع النون من العين، ففيه مكة البلد الأمين سُرّة الحجاز وقاعدته، وبها بيت الله الحرام وكعبته المشرفة، ومشاعر الحج (منى وعرفات ومزدلفة)، وفي الحجاز طيبة الطيبة دار هجرة المصطفى محمد صلى الله عليه وآله وسلم، المدينة النبوية وبها مسجده، ومرقده الشريف.

قال الله تعالى:﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[1] فالله وحده يختار من الأماكن والبلاد ما يشاء سبحانه، ولا شك أن من الأماكن المختارة والمفضلة أرض الحجاز وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قوله: " إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ، وهو يَأْرِزُ بين المسجدين، كما تأرز الحية في جُحْرِها "[2] أي ينضم ويجتمع بين مسجدي مكة والمدينة.

(1) سورة القصص، آية (68).

(2) صحيح مسلم، حديث رقم 232 (146) كتاب الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، بشرح الإمام النووي، دار ابن حزم–بيروت، الطبعة الأولى، 1433هـ/2012م، ج2، ص154.

فمكة هي قلب الحجاز خاصة، والعالم الإسلامي كافة، وقد اختارها الله عز وجل مكاناً لبيته المحرم فقال تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ * فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾[3] أما مدينة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم طيبة الطيبة فقد ورد في فضائلها الكثير من الأحاديث منها على سبيل المثال، عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: "المدينةُ حرم، من كذا إلى كذا، لا يقطع شجرها، ولا يحدث فيها حدثٌ، من أحدث فيها حدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين".[4]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن "النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة، ومنبري على حوضي"[5].

والحجاز يطل من جهة الغرب على ساحل البحر الأحمر الذي يقع تقريباً في منتصف الكرة الأرضية سواء من الشمال والجنوب أو من الشرق أو الغرب، يمر مدار السرطان ينصفه، وفي شماله البحر المتوسط وفي جنوبه بحر العرب والمحيط الهندي. وهو في منتصف المسافة بين القارات الثلاث (آسيا وأفريقيا وأوروبا). كما يمتاز باستطالته، واتصاله بعدد من بحار العالم وله خليجان مستطيلان في شماله هما خليج العقبة وخليج السويس"[6].

ب–الأوضاع السياسية والاجتماعية في الحجاز (القرن 10هـ/16م):

– نشأة حكومة الأشراف في مكة:

كان قيام حكومة الأشراف في الحجاز "مكة" بعد موت كافور الإخشيدي الذي حكم مصر باسم العباسيين من 357355هـ، فقد قام جعفر بن محمد بن الحسن بإمارة مكة؛ واختلف المؤرخون في التاريخ الدقيق لقيام جعفر بن محمد بتأسيس إمارته في مكة ما بين 357–358هـ/(968–969م)، ولكنهم مجمعون على أن قيام أول حكومة للأشراف في الحجاز بعد موت كافور الإخشيدي، وقد تزامن قيام حكومة الأشراف مع سقوط مصر في

(3) سورة آل عمران، آية 96، 97.

(4) صحيح البخاري: كتاب فضائل المدينة، باب حرم المدينة، حديث رقم1867، ابن حجر: فتح الباري، ج4، ص124.

(5) صحيح البخاري: كتاب فضائل المدينة، باب 12، حديث رقم1888، ابن حجر: فتح الباري، ج4، ص151.

(6) برج، محمد عبد الرحمن: البحر الأحمر عبر التاريخ، بحث في كتاب ندوة البحر الأحمر التي عقدت في معهد الدراسات الدبلوماسية بالرياض . وزارة الخارجية، 1405هـ، طبع 1406هـ، ص21؛ جرادات، الرائد وليد محمد، الأهمية الاستراتيجية للبحر الأحمر بين الماضي والحاضر، دار الثقافة، الدوحة، ص24؛ العرفج، ناصر عبد العزيز: أهمية الممرات المائية في البحر الأحمر (بحث ضمن كتاب ندوة البحر الأحمر) ص 36 . 48؛السلطان: عبدالله عبدالمحسن: البحر الأحمر والصراع العربي – الإسرائيلي التنافس بين استراتيجيتين، مركز دراسات الوحدة العربية– بيروت، الطبعة الأولى، 1984م، ص24–26؛ الحارثي: الموانئ البحرية الحجازية، كرسي الملك سلمان لدراسات تاريخ مكة المكرمة، ص33، ص61.

يد العبيديين، وهذه الأسرة تمثل الطبقة الأولى من أربع طبقات من الأشراف حكموا مكة وأجزاء كبيرة من الحجاز في فترات متعددة منذ قيام إمارتهم حتى القرن الرابع عشر الهجري، وتسمى الطبقة الأولى "الموسويون" نسبة إلى جدهم (موسى الجون) ، والطبقة الثانية تسمى "السليمانيون" نسبة إلى جدهم (سليمان بن عبد الله الرضا) والطبقة الثالثة تسمى (الهواشم) نسبة إلى جدهم (أبي هاشم محمد الأمير بن الحسين الأمير)والطبقة الرابعة تسمى (القَتَادات) نسبة إلى جدهم الشريف قَتَادَة بن إدريس؛ الذي حكم مكة من العام 597-617هـ/1201-1220م، فبالتالي ينتمي الأشراف أمراء مكة إلى الطبقة الرابعة من الأشراف الحسنيين الذين حكموا مكة[7].

– علاقة العثمانيين بالحجاز:

يقول المؤرخ والأكاديمي التركي: إسماعيل حقي جارشلي: إن العثمانيين الذين أسسوا دولة إسلامية كبيرة قد أظهروا في كل مناسبة علاقتهم الصميمة مع أمراء مكة الذين ينحدرون من نسل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وقد استمروا على علاقتهم مع الأمراء والأشراف في الحجاز مهد الإسلام، فبعد فتح إسطنبول من قبل السلطان محمد الثاني الفاتح (1451-1481م) أرسل السلطان رسولاً هو العالم محمد الزيتوني ليحمل هذه البشرى العظيمة مع رسالة وهدية إلى أمير مكة [8]. وقد أعلم السلطان (أمير مكة)، بعد عرف ووصف فتح إسطنبول، بتحويل كنائسها إلى جوامع. كما طلب من أمير مكة أن يدعو له بالتوفيق [9].

وحرص العثمانيون على مخاطبة أمراء مكة بالألقاب اللائقة بهم وإظهار مظاهر الاحترام والتقدير لهم بوصفهم فلذة أكباد الرسول، زبدة أحفاد البتول، أمير المسلمين ولي المؤمنين، خلاصة أولاد شفيع المذنبين [10].

فعندما استولى السلطان العثماني سليم الأول على سوريا وفلسطين بعد معركة مرج دابق في 922هـ/ 1516م وعلى مصر بعد معركة الريدانية في عام 923هـ/ 1517م. وبقضائه على دولة المماليك اعترفت الحجاز التي

(7) عن طبقات الأشراف حكام مكة ونسب مؤسسيها، انظر: الفاسي: العقد الثمين، ج3، ص279؛ ابن فهد: عزالدين عبدالعزيز بن عمر بن محمد بن فهد الهاشمي القرشي: غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام، تحقيق فهيم محمد شلتوت، الطبعة الأولى، 1406 . 1986م. دار التراث بجُدة، من إصدارات مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى، ج1، ص480؛ الحارثي: الشريف محمد بن حسين: الاستشراف على تاريخ أبناء محمد الحارثي الأشراف، دراسة تاريخية وثائقية، الطبعة الثانية، ص104.

(8) أمير مكة آنذاك: الشريف بركات بن حسن بن عجلان، في العام 1453م، الموافق لعام 857هـ. ويرد في الحاشية: إن أمير مكة اغتبط ببُشرى فتح إسطنبول فقرأ رسالة الفاتح على الناس أمام الكعبة كما وزع الأموال المرسلة عليهم وأرسل إلى السلطان هدية مع نجم الدين السيوطي عبارة عن تسع قطع من قماش الهند، وعشرون قطعة من الشاش، وماء زمزم وحمام من الحرم الشريف. ص27.

(9) أشراف مكة المكرمة وأمراؤها في العهد العثماني، الدار العربية للموسوعات – بيروت ، الطبعة الأولى، 2003م-1424هـ، ص27.

(10) فريدون بك: أحمد، منشآت السلاطين، المطبعة العامرة، إستانبول، 1264هـ، ص232، انظر: مخلوف: ماجدة، الخدمات والمرافق العامة في مكة في العهد العثماني، بحث مقدم إلى ندوة مكة عاصمة الثقافة الإسلامية، 1426هـ، ص157.

كانت تحت نفوذ المماليك بالحكم العثماني، وقد أرسل أمير مكة آنئذٍ الشريف بركات بن محمد الحسني ابنه الشريف أبونُمَيّ، البالغ لتوه الثانية عشرة من عمره إلى مصر مظهراً التبجيل للسلطان العثماني ومقدماً له مفاتيح مكة [11].

وعندما علم السلطان سليم بقدوم محمد أبونُمَيّ إلى القاهرة في يوم الجمعة 13 جمادى الثانية (3يوليو)، أمر بإرسال الأغوات لاستقباله. وفي يوم الإثنين 16 جمادى الثانية (6يوليو) استقبل السلطان ابن شريف مكة استقبالاً حافلاً. وبعد ستة أيام قدم محمد أبونُمَيّ الطاعة والولاء وبعض الهدايا للسلطان سليم، ثم سلمه مفاتيح الأماكن المقدسة والآثار النبوية الشريفة الموجودة في مكة والمدينة؛ بحسب المصادر التركية [12]. إلا أن المصادر والمراجع التاريخية المكية لا تشر من قريب أو بعيد لدعوى تسليم مفاتيح الأماكن المقدسة والآثار النبوية [13].

وبقي الشريف بركات يستعين بابنه أبي نُمَيّ الثاني في إدارة الأمور بمكة حتى وافته منيته في سنة ٩٣٢هـ عن عمر يزيد عن سبعين عاماً، وكانت مدة ولايته استقلالاً ومشاركةً لابنه وإخوته نحو (٥٣) سنة، وبوفاة الشريف بركات انتقل الأمر إلى أكبر أبنائه وشريكه بالأمس محمد أبي نمى الثاني وعمره إذ ذاك نحو عشرين سنة [14].

فحافَظ العثمانيون على الأوضاع السائدة في الحرمين الشريفين؛ ولا سيَّما الوضع الثقافي والاجتماعي والإداري، وكان التقسيم الإداري في أوائل الحكم العثماني للحجاز يختلف عن آخره؛ فمع تسمية الوالي – الذي يتمُّ تعيينه من إستانبول – في البداية بأمير الأمراء، وتسمية أمير المدينة المنوَّرة – الذي يُعيَّن من إستانبول – بشيخ الحرم،

(11) حقي: إسماعيل حقي جارشلي: أشراف مكة المكرمة وأمراؤها في العهد العثماني،ص45، ص132.

(12) باشا: أيوب صبري: مرآة جزيرة العرب، ص16؛ متولي: أحمد فؤاد، الفتح العثماني للشام ومصر ومقدماته من واقع الوثائق والمصادر التركية والعربية المعاصرة له، الزهراء للإعلام العربي – القاهرة، الطبعة الأولى، 1414هـ-1995م، ص229.

(13) العصامي: سمط النجو العوالي، ج4، ص306؛ السنجاري: منائح الكرم، ج3، ص231؛ الطبري المكي: إتحاف فضلاء الزمن، ج2، ص347؛ دحلان: خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام، ص50؛ الغازي: إفادة الأنام، ج3، ص357؛ السباعي: تاريخ مكة، ص344. وكذلك لم يشر المؤرخ المصري ابن إياس إلى تلك الآثار، في حوادث عام923هـ، من جمادى الآخرة، وقال: (وأحضر صحبته تقادم فاخرة إليه) أي هدايا. ابن إياس: بدائع الزهور، ج5، ص190. ومن ذلك يشكك في صحة تلك الآثار صاحب كتاب (الآثار النبوية) المحقق أحمد تيمور باشا بعد أن سرد الآثار المنسوبة إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم (بإسطنبول): (لا يخفى أن بعض هذه الآثار محتمل الصحة، غير أنا لم نر أحداً من الثقات ذكرها بإثبات أو نفي، فالله سبحانه أعلم بها، وبعضها لا يسعنا أن نكتم ما يخامر النفس فيها من الريب ويتنازعها من الشكوك) باشا: أحمد تيمور، الآثار النبوية، القاهرة، مطبعة دار الكتاب العربي، 1951م-1370هـ، ص73-80.

(14) العصامي: سمط النجوم العوالي: ج4، ص305، ص336؛ السنجاري: منائح الكرم، ج3، ص243-247؛ الطبري: إتحاف فضلاء الزمن، ج1، ص405؛ دحلان: أحمد زيني: مخطوطة (تاريخ الدولة الإسلامية بالجداول المرضية) ، مكتبة الملك عبدالعزيز بالمدينة، ص150؛ وخلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام: ص46؛ الصباغ: محمد بن أحمد المالكي المكي: تحصيل المرام في أخبار البيت الحرام..، تحقيق عبدالملك بن دهيش، الطبعة الأولى،1424هـ/2004م، ج2، 769؛ الغازي: إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام، ج3، ص358؛ السباعي: تاريخ مكة، ص345.

وتسمية أمير مكة المكرمة – الذي يُختَار من الأشراف – إلا أنه تغيَّر اسم بعض تلك الوظائف في العهد الأخير، حيث أصبح يُطلَق على الأول **والي الحجاز**، وعلى الثاني محافظ المدينة المنوَّرة.[15].

أما بقية مدن الحجاز الأخرى فهي تتبع لشريف مكة، وقد تخرج عنه، وقد يكون في بعضها حاكم محلي، وكانت سلطة الشريف المكي تمتد وتقصر حسب قوته، فتارة يحكم مكة وما حولها [16]، وتارة تتعدى سلطنة الحجاز إلى نجد [17] أو شرق الجزيرة العربية [18].

أما الأوضاع الاجتماعية في الحجاز، فالمجتمع الحجازي بطبيعة الحال مجتمعاً عربياً تقليدياً، يغلب عليه الولاء للقبيلة أو الأسرة ويتكون من الفئات التالية:

1. الأشراف وهم من ينتسبون إلى البيوت الهاشمية العلوية وفيهم الإمارة. ومن يحكم الحجاز في تلك الفترة هم بنو الشريف قَتَادة الحسنيون وتوارثوا الإمارة، وصارت لهم عصبية تحميهم. ولقد كان لأمراء مكة الأشراف في مجالسهم قواعد وآداب سامية [19].
2. الأعيان وشيوخ القبائل: وكان فريق كبير من سكان الحجاز ينتمون إلى عدد من القبائل العربية الكبيرة مثل قُريش وهُذيل وعُتيبة وجُهينة وسُليم وثَقيف وغامد وزهران وبني مالك وبِلي وحرّب وغيرهم [20]. وقد جرت العادة أن ترسل الدولة العثمانية مع أمراء الحج مبلغاً من المال لكل قبيلة يمر الركب في أراضيها حتى تسمح بمرور الحجاج بسلام وإلا لابد من القتال [21]. ومن جهة أخرى كانت هذه القبائل تشكل قوة لا يستهان بها، ترفد عسكر شريف مكة عند الطلب وإعلان النفير العام [22].
3. المجاورون: وهم المسلمون الذين قدموا من مختلف الأقطار الإسلامية، إلى مكة المكرمة على مر السنين، احتماءً بحرم الله، وقصد التجارة للدنيا والآخرة، وما لبثوا أن استقروا فيها واندمجوا في

(15) صابان: سهيل، جوانب من الحياة العلمية في الحجاز من خلال بعض الوثائق العثمانية، مجلة الدرعية: العدد الأول: محرم 1419هـ / مايو 1998م، ص 171.

(16) عبدالكريم كريم: بلاد الحجاز في المخطوطات المغربية المدونة خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر للهجرة، مجلة التاريخ العربي، العدد الخامس، شتاء 1418هـ. 1998م، تصدر عن جمعية المؤرخين المغاربة، ص122.

(17) السنجاري: منائح الكرم، ج3، ص540–560؛ الغازي: إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام، ج3، ص375–386.

(18) الشلي: عقد الجواهر والدرر: حوادث سنة 1032؛ الغازي: إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام، ج3، ص375–386.

(19) الطبري: الأرج المسكي، ص193؛ انظر: الردادي: عائض، الشعر الحجازي في القرن الحادي عشر الهجري، القسم الأول، الطبعة الثانية، 1413هـ/1992م، ص86.

(20) العياشي: الرحلة العياشية، ج1ص 312.

(21) العياشي: الرحلة العياشية، ج1 ص246.

(22) العصامي: سمط النجوم العوالي، ج4، ص437؛ دحلان، خلاصة الكلام، ص53.

مجتمعها وصاروا يشكلون جزءاً من هيكلها الاجتماعي، وجل علماء الحرمين منهم، وينتمي هؤلاء إلى جنسيات مختلفة، ولقد كان للمجاورين أثر كبير في الحركة العلمية [23].

المبحث الثاني:

جوانب من شخصية الشريف محمد أبونُمَيّ الثاني.

هو الشريف محمد أبو نمي الثاني بن بركات بن محمد بن بركات بن الحسن بن عجلان بن رميثة بن محمد أبي نمي الأول بن أبي سعد الحسن بن علي الأكبر بن قتادة بن إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم بن عيسى بن الحسين بن سليمان بن علي بن عبدالله الأكبر بن محمد الثائر بن موسى الثاني بن عبدالله الرضى بن موسى الجون بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم [24].

ولد ليلة التاسع من ذي الحجة من عام 911هـ، وكان يُلقب نجم الدين، "صاحب القانون"، شارك أباه بركات في ولاية مكة، وعمره ثمان سنوات، حيث صدرت له هذه الولاية من السلطان المملوكي الغوري عام 918هـ، وامتاز أبونُمي بحزمه في إدارة الأمور وصرامته في الحكم وبذلك هابته الأعراب والأهالي واحترمه الحجاج والمجاورن [25].

وبعد سقوط الحكم المملوكي على يد العثمانيين أبقاه السلطان العثماني مشاركاً لوالده في إمارة مكة، ثم منفرداً بالإمارة بعد وفاة والده. وعدَّه المؤرخون زعيماً قل من يضاهيه شهرة من طبقات الأشراف الأخرى. وكان الشريف أبو نمي جم الفضائل، حسن الشمائل، محمود السيرة، له النثر الرفيع الفائق، والنظم البديع الرائق. واستمرت مكة محكومة بأمره سنين في استقرار لا تعبث بها القلاقل والفوضى. فولي مكة بعد وفاة أبيه الشريف بركات ووصل إليه التأييد بعد وفاة أبيه من السلطان سليمان خان وكان عمره إذ ذاك نحو العشرين سنة. وتوفي الشريف أبو نمي بن بركات ليلة تاسوعا افتتاح سنة992هـ بوادي الأبيار من جهة اليمن وحمل إلى مكة وصلى عليه تجاه الكعبة ميرزا

(23) البتنوني: محمد لبيب، الرحلة الحجازية، مكتبة المعارف-الطائف، الطبعة الثالثة، ص53؛ رفعت: إبراهيم، مرآة الحرمين، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة. ج1، ص201؛ السباعي، تاريخ مكة، ج2، ص 106-109.

(24) العصامي: سمط النجوم العوالي: ج4، ص302-320؛ السنجاري: منائح الكرم، ج3، ص175،ص225،ص246؛ الطبري: إتحاف فضلاء الزمن، ج1، ص331،ص407، ص559.

(25) العصامي: سمط النجوم العوالي: ج4، ص302-320؛ السنجاري: منائح الكرم، ج3، ص175،ص225،ص246؛ الطبري: إتحاف فضلاء الزمن، ج1، ص331،ص407، ص559.

مخدوم ودفن بالمعلاة. وقيل إنه عاش ثمانين سنة، وشهراً، ويوماً، ومدة ولايته منفرداً، ومشاركاً لولديه [أي أحمد والحسن] ثلاثة وسبعون سنة [26].

ويذكر أيوب صبري باشا [27]: " ارتفع قدر الشريف أبي نُمَيّ وعلا شأنه بين الأهالي، لأنه كان عاقلاً ومدبراً وقديراً في الحرب، لم يتضرر أحد من الناس في زمنه سواء من بين الأهالي أو الحجاج أو التجار"

ويقول غوري [28]: "وبسبب الثروة الكبيرة ونجاح الحروب العثمانية، زُيِّنت مكة بشكل ملحوظ وازدهرت من نواح أخرى تحت حكم أبي نمي الثاني، الذي عزز انصرافه لمصالح مكة وديانته، وسمعة أشرافها".

المبحث الثالث:

جهود العثمانيين لصد خطر الغزو البرتغالي

على الديار المقدسة (الحرمين الشريفين).

أ–دوافع الغزو البرتغالي ومراحله الأولى:

من الجدير بالذكر أن نشير إلى مقدمات الغزو البرتغالي لبلاد المسلمين الذين خرجوا من ديارهم بروح صليبية حاقدة مغلفة بدوافع اقتصادية للتعدي على بلاد المسلمين ومصادرة أراضيهم وممتلكاتهم والتحكم في حركة التجارة الدولية فالتفوا حول إفريقية مروراً برأس الرجاء الصالح ما بين عامي (903–904هـ) حتى وصلوا إلى الهند[29].

(26) العصامي: سمط النجوم العوالي: ج4، ص302–320؛ السنجاري: منائح الكرم، ج3، ص175،ص225،ص246؛ الطبري: إتحاف فضلاء الزمن، ج1، ص331،ص407، ص559؛ دحلان: أحمد زيني: مخطوطة (تاريخ الدولة الإسلامية بالجداول المرضية) ، ص150؛ خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام: ص46؛ الغازي: إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام، ج3، ص359؛ السباعي: تاريخ مكة، ص346؛ انظر: الحارثي: الشريف محمد بن حسين: الاستشراف على تاريخ أبناء محمد الحارث الأشراف، دراسة تاريخية وثائقية، مؤسسة الريان –بيروت، الطبعة الثانية، 1433هـ/2012م، ص138–150.

(27) مرآة جزيرة العرب، ص86.

(28) غوري: جيرالد: حكام مكة، ترجمة: رزق الله بطرس، الوراق للنشر – بيروت وبغداد، 2012م، ص161.

(29) الشناوي: الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، ج2، ص699؛ السلمان: الغزو البرتغالي للجنوب العربي والخليج، ص269–270؛ فائق بكر الصواف، ومصطفى محمد رمضان: أهمية ثغر جُدة في النصف الأول من القرن العاشر الهجري، بحث مجلة الدارة، العدد الثاني للسنة السادسة، ربيع أول، 1401هـ/يناير 1981م، الرياض، ص200.

وقد باركت البابوية الحملات البرتغالية واصفة الإسلام بالطاعون وتواصلت حملاتهم في منطقة المحيط الهندي قتلاً ونهباً، حتى تطلعوا للزحف على الجزيرة العربية من مداخلها البحرية الجنوبية بدءاً من عام 911هـ، فأخذوا يهددون سواحل جُدة رغبة في دخولها ثم الدخول إلى الأراضي المقدسة وضرب مقدسات المسلمين(30).

وكان عند البرتغاليين مشروعات عدوانية منها تحويل مياه النيل إلى البحر الأحمر لحرمان مصر منه ثم هدم المدينة المنورة ونبش قبر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وسرقة جُثمانه (31).

فكان مخططاً صليبياً خطيراً للغاية تمثل في دخولهم البحر الأحمر واستيلائهم على جُدة ثم الزحف منها على مكة المكرمة لهدم الكعبة الشريفة ثم مواصلة الزحف منها على المدينة المنورة، ينفذها القائد البرتغالي تنفيذاً لوصية ملكه أمانويل؛ بالعمل على تجهيز أربع مئة من الفرسان ينزلون بميناءٍ يَنْبُع ومنه للمدينة المنورة لنبش قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومواصلة الزحف بعد ذلك إلى تبوك وصولاً إلى بيت المقدس حيث المسجد الأقصى وقبة الصخرة (32).

فكان عزم السلطان المملوكي على بناء سور حول جُدة لحمايتها من الخطر البرتغالي ويرى بعض المؤرخين إضافة إلى ذلك للتصدي لهجمات الأعراب (33).

ويشير النهروالي إلى الأمرين دفع خطر البرتغاليين، وخطر الأعراب عن جُدة إلا إنه يختلف مع ابن فرج في أنه بُدئ في بناء السور في عام 917هـ، أما ابن فرج فيرى أنه بُدئَ في عام 911هـ أو 912هـ وانتهى في تسعة أشهر، إلا أن أغلب المصادر والمراجع التي أطلع عليها الباحث ترجح أنه تم بناؤه في عام 917هـ(34).

(30) السلمان: الغزو البرتغالي للجنوب العربي والخليج، ص269-270؛ الصواف: أهمية ثغر جدة ص201.

(31) حسون: تاريخ الدولة العثمانية وعلاقاتها الخارجية، ص57-58؛ السلمان: الغزو البرتغالي للجنوب العربي والخليج، ص269-270؛ Afonso de Albuquerque, governor of India: His life, conquests and administration by Edgar Prestage. **جثمان وليس رفات؛** فمن الثابت شرعاً كما ورد في حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "... إن الله قد حرَّم على الأرض أن تأكلَ أجساد الأنبياء عليهم السلام" أخرجه النسائي في كتاب الجمعة، باب إكثار الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، برقم 1374، وأبو داود في كتاب الصلاة، باب فضل الجمعة وليلة الجمعة، برقم 1047، وابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة، باب فضل الجمعة، برقم 1085. الكتب الستة، تحقيق: رائد صبري بن أبي علفة، مكتبة الرشد، الطبعة الثانية، 1433-2012م.

(32) الشناوي: الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، ج2، ص699؛ السلمان: الغزو البرتغالي للجنوب العربي والخليج، ص269-270؛ ؛ العسكر: عبدالله بن إبراهيم: مسيحيون في مكة المكرمة، جريدة الرياض، الأربعاء 10 ربيع الآخر 1426هـ - 18 مايو 2005م - العدد 13477؛ Andrew James McGregor, "A military history of modern Egypt: from the Ottoman Conquest to the Ramadan War", p.20, Greenwood Publishing Group.

(33) ابن فرج: السلاح والعدة، ص88.87؛ الحضراوي: أحمد بن محمد، الجواهر المعدة في فضائل جدة، تحقيق: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية-القاهرة، الطبعة الأولى، 1423هـ/2002م، ص34-36.

وتواصل الخطر البرتغالي، وحاول المماليك التصدي له، فكانت الهزيمة التي تعرض لها الجيش المملوكي في معركة (ديو البحرية) 915هـ في المحيط الهندي، فتزايد الزحف البرتغالي، وأخذوا يهاجمون السواحل العربية في جنوب الجزيرة العربية، فخربوا ميناء عدن في بداية عام 919هـ، فعادت الحملة البرتغالية إلى هرمز وسيطرت على الأوضاع، وعاجلت الوفاة قائد الجيش البرتغالي في الهند، وحفظ الله الأماكن المقدسة[35].

وآذنت دولة المماليك بالزوال، وزحف العثمانيون باتجاه بلاد الشام؛ وقُتِلَ السلطان الغوري علي يد العثمانيين في معركة مرج دابق، وفي شهر ذو الحجة من عام 922هـ سقطت دولة المماليك نهائياً في موقعة الريدانية بمصر، ودخل العثمانيون القاهرة بقيادة السلطان سليم الأول مع مستهل عام 923هـ[36].

ب–جهود السلطنة العثمانية في التصدي للغزو البرتغالي وإغلاق البحر الأحمر:

وكان الشريف بركات أمير مكة المكرمة قد ارتاب في ثلاثة أشخاص تسللوا إلى مكة المكرمة، وكانوا يحومون حول المسجد الحرام متظاهرين بأنهم مسلمون، ويرتدون زي العثمانيين، ويتكلمون العربية والتركية، فأمر بالقبض عليهم، وبالكشف على أجسامهم اتضح أنهم مسيحيون لأنهم كانوا بغير ختان، وباستجوابهم اتضح أنهم جواسيس برتغاليون بعثت بهم سلطات لشبونة ليعملوا أدلاء للجيش البرتغالي الصليبي عند دخوله مكة [37]، وقد وقع هذا الحادث في عام 1510م، أي قبل امتداد النفوذ العثماني إلى البحر الأحمر بحوالي سبعة أعوام.

حيث يقول ابن إياس في جمادى الأولى من عام 916هـ: "وفيه جاءت الأخبار من مكة بأن الشريف بركات أمير مكة قبض على ثلاثة أنفار[نفر] من الفرنج دخلوا مكة وهم في زي الأروام، فلما قبض عليهم وجدهم بدون

(34) النهروالي: محمد بن أحمد، الإعلام بأعلام بيت الله الحرام، تحقيق هشام عبد العزيز عطا، المكتبة التجارية، مكة المكرمة، ط1، 1416هـ-1996م، ص262.260؛ ابن فرج: السلاح والعدة، ص88.87؛ الحضراوي: الجواهر المعدة في فضائل جدة، ص35؛ السنجاري: منائح الكرم، ج3، ص172؛ سنوك: صفحات من تاريخ مكة المكرمة، ص205؛ السباعي: تاريخ مكة، ص316؛ الصواف: أهمية ثغر جُدة، ص203.202.

(35) ابن إياس: بدائع الزهور، ج4، ص308.307؛ النهروالي، الإعلام بأعلام بيت الله الحرام، ص260؛ الصواف: أهمية ثغر جُدة، ص205.204؛ السلمان: الغزو البرتغالي للجنوب العربي والخليج، ص268.

(36) ابن زنبل: الشيخ أحمد الرمال، آخرة المماليك أو واقعة السلطان الغوري مع سليم العثماني، تحقيق: عبدالمنعم عامر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية، 1998م، ص97-253؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج5، ص148.146.145.

(37) الشناوي: الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، ج2، ص698.

ختان فتحقق أنهم فرنج وأنهم دواسيس عند بعض ملوك الفرنج، فقبض عليهم ووضعهم في الحديد وبعث بهم إلى السلطان "[38].

و مثلت رحلة فارتيما، أو الحاج يونس كما سمى نفسه (1503-1509م) حول العالم، **الجناح البري لجهود البرتغاليين** في اكتشاف الطرق المؤدية إلى ثروات الشرق عامة، وتطويق العالم الإسلامي، استمراراً لما كانوا يسمونه حرب الاسترداد، فكانت مهمته التجسس على الشعوب التي مر بها ومما علم عنه أنه رحالة إيطالي، قام برحلة من أوروبا إلى الشرق في القرن السادس عشر؛ وخرج فارتيما في رحلته بتمويل من ملك البرتغال فكان يعمل لحسابه، والذي قدّم له نائبه في الهند براءة الامتياز والفروسية، وضمّه لجيوشه المحاربة أحياناً، لذلك فإن بعض المصادر تشير إليه على أنه رحالة برتغالي. تناقش مع أهل مكة عن أسباب اختفاء التوابل القادمة من الهند بسبب سيطرة البرتغاليين عليها بدلاً من المسلمين، وأخفى فارتيما سعادته بسيطرة البرتغاليين حتى لا يفتضح أمره وانهال بالسب والشتائم على البرتغاليين في تقية منه [39].

وعُقِدَ تحالف عسكري بين الصفويين في إيران والبرتغاليين الغزاة؛ لمواجهة العثمانيين باعتبارهم عدواً مشتركاً للطرفين[40]، ومن ذلك ما ترجمه عبدالرحمن الشيخ[41] ضمن دراسة تحليلية لثلاث وثائق برتغالية؛ تعود لمطلع القرن السادس عشر، وبالتحديد سنة 1510 م ، وأفكار هذه الوثائق ظلت فاعلةً مؤثرةً حتى سنة 1516 م على الأقل ، وتشيرُ هذه الوثائق في مجملها إلى خطةٍ – لم يكتب لها النجاحُ الكاملُ – حاك خيوطها الاستعماري العريق أفونسو دلبوكيرك (ت 16 ديسمبر 1515 م) وهو ثاني نائب للملك البرتغالي في الهند ، والشاه إسماعيل الصفوي ، ومؤدى هذه الخطة هي أن يعمل الشاهُ على شغلِ السلطانِ المملوكي في مصر حتى يتمكن أفونسو دلبوكيرك من التوغلِ في البحر الأحمر والاستيلاء على جُدة ، والوصول للسويس. وبالفعل فقد

(38) ابن إياس: بدائع الزهور، ج4، ص191. المقصود " السلطان المملوكي الغوري".

(39) الشيخ: عبدالرحمن عبدالله، "ترجمة وتعليق" رحلات فارتيما (الحاج يونس المصري) ، الهيئة العامة للكتاب، 1994م، ص9-11، ص55-65.

(40) الجمل: شوقي: دور البرتغال الاستعماري في إقليم الخليج، منشورات اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة، 1417هـ/1996م، بعنوان "إقليم الخليج على مر عصور التاريخ"، حصاد ندوة (4) ، ص461؛ العسكر: عبدالله بن إبراهيم: مسيحيون في مكة المكرمة، جريدة الرياض، الأربعاء 10 ربيع الآخر 1426هـ - 18 مايو 2005م - العدد 13477؛ Andrew James McGregor, "A military history of modern Egypt: from the Ottoman Conquest to the Ramadan War", p.20, Greenwood Publishing Group.

(41) الشيخ: عبد الرحمن عبد الله، ترجمة وتعليق: ثلاث وثائق برتغالية عن خطة للاستيلاء على العالم العربي في مطلع القرن السادس عشر، مجلة عالم المخطوطات والنوادر، مكتبة الملك عبدالعزيز العامة بالرياض، المجلد الخامس، العدد الأول، المحرم – جمادى الآخرة، 1421هـ/ مايو-أكتوبر 2000م، ص258-274.

هدد الشاه إسماعيل باجتياحِ حلب والشام بينما أفونسو دلبوكيرك موجود بأسطوله في البحر الأحمر سنة 1513 م مما أدى لارتباك السلطان المملوكي في مصر.

ومما ورد في الوثيقة الثانية: (... التعليمات التي حملها روي جوميز Ruy Gamez من ألفونسو دلبوكيرك.. فيما يتعلق بما يجب أن يقوله للشاه إسماعيل: وستقول له إنه عندما **يهب ويهاجم الكعبة ليتملكها** The hous of Meca فسوف أدخل البحر الأحمر وأتجه بأسطولي إلى ميناء جدة وسأفعل الشيء نفسه إذا رغب في اجتياح شبه الجزيرة العربية...) [42].

وكان البرتغاليون بعد وصولهم إلى الهند قد نقلوا جزءاً من نشطاهم الحربي إلى منطقة الخليج العربي وبحر العرب واستولوا على مسقط وهرمز والبحرين وقلهات على ساحل عُمان، وقربات، وصحار، وحور، وغيرها، وجزيرة سُقطرى وضربوا ساحل عُمان، وعلى الرغم من فشلهم في احتلال عدن، نجحوا في دخول البحر الأحمر، وبعد أن ضربوا بعض الجزر القريبة من مدخله الجنوبي وبعض ثغوره اتجهوا عام 1517م لاحتلال جُدة. وكانت دولة المماليك الشراكسة قد لفظت أنفاسها الأخيرة، وباءت بالفشل محاولة البرتغاليين [43].

وجعل العثمانيون إمارة جُدة تابعة لهم مباشرة يعينون لها نائباً من طرفهم بعيداً عن نفوذ شريف مكة، وذلك بسبب وضعها الحربي وأهميتها الاقتصادية والاستراتيجية [44].

وقد أثبتت حوادث الاعتداءات البرتغالية على موانئ البحر الأحمر بسرعتها وتلاحقها صدق ذلك، فقبل أن يصل نائب جدة الجديد " قاسم الشرواني" لمباشرة مهام منصبه كان البرتغاليون قد أعدوا هجوماً على جُدة في عام 1517م، فقد أرسلوا حملة بقيادة نائب الملك في الهند " لوبو سوريز" الذي تولى بعد البوكيرك وكانت هذه الحملة تتكون من أربعين سفينة ومن ألفين من الجنود المسلحين، وهدف هذه الحملة هو الهجوم على جُدة وتدميرها والقضاء على الأسطول المملوكي في البحر الأحمر، وإقامة اتصال مباشر مع الحبشة. ففوجئوا بتغير السلطة فواجهوا العثمانيين لأول مرة فكان عليهم أن يعودوا أدراجهم كي يعيدوا حساباتهم قبل مجابهة العثمانيين، وكان الريس سلمان العثماني بعد مقتل والي جدة حسين الكردي قد سيطر على الأمور في الثغر ريثما تصله الأوامر العثمانية ووقف أمام الهجوم البرتغالي على جدة، وعندما انسحب البرتغاليون واصل مطاردة السفن المرتدة عن جُدة إلى

(42) الشيخ: ثلاث وثائق برتغالية، ص263.

(43) الشناوي: الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، ج2، ص699.

(44) الصواف: أهمية ثغر جدة في النصف الأول من القرن العاشر الهجري (16م) (مجلة الدارة، العدد الثاني، السنة السادسة، ربيع الأول 1401هـ، يناير 1981م) ، ص210.

جزيرة كمران، وتمكنت سفنه من الاستيلاء على سفينة برتغالية وأسر بحارتها وأرسلهم إلى استانبول. ووصلت القوات البرتغالية المرتدة إلى عدن حيث حصلت على الإمدادات اللازمة من أميرها مرجان ، وعادوا قافلين إلى مركزهم في هرمز[45].

وكانت هذه الحملة التي هددت الحرمين الشريفين كفيلة بجعل العثمانيين يفكرون بطريقة جدية في حماية البحر الأحمر والأراضي المقدسة الإسلامية من هجمات البرتغاليين المتكررة والتي أخذت تتركز بصورة ملحة على ميناء جُدة الإسلامي، ولكنهم بعد قليل من وصول نائب جُدة الجديد قاموا بسحب الريس سلمان العثماني فعاد إلى القاهرة في شعبان سنة 923هـ، ومعه بعض الأسرى من البرتغاليين [46].

وعلى الرغم من أن سياسة الحكومة المركزية في استنبول كانت تعني الاسترخاء العسكري في جبهة البحر الأحمر إلا أن والي مصر خاير بك تولى إرسال المعدات العسكرية والقوات اللازمة لتعزيز حامية جُدة، وذلك عندما كانت تصل إلى مصر بتحركات عسكرية للسفن البرتغالية في البحر الأحمر قريباً من ميناء جدة. ففي شهر جمادى الآخرة عام 924هـ أخذ خاير بك في تجهيز قوة على وجه السرعة إلى جُدة، وذلك عندما وصلته الأخبار من الحجاز على يد رسول شريف مكة بأن سفن البرتغاليين تعبث بالبحر الأحمر قريباً من ميناء جُدة وتقوم بقطع الطريق على المسافرين؛ قام باستعراض بعض القوات العسكرية ثم عين منها فرقة للسفر على وجه السرعة لنجدة جُدة، وكانت الفرقة تتكون من نحو 250 جندياً وكان من بينهم مجموعة من البحارة المغاربة [47].

وفي العام التالي (925هـ) وصلت الأخبار إلى القاهرة بأن البحرية البرتغالية قامت بتحركات حول جُدة، فأمر خاير بك بإرسال قوة عسكرية أخرى إلى جُدة مكونة من 300 جندي من المماليك والأتراك، وعين نائباً جديداً لجدة هو حسين الكيخا أو حسين الرومي، وقد أمره خاير بك بأن يتوجه على رأس القوة العسكرية الجديدة صحبة قافلة الحج المصرية، وضم له ولاية السواحل اليمنية إلى جانب ولاية جُدة [48].

(45) سالم: الفتح العثماني الأول لليمن، ص103؛ الصواف: أهمية ثغر جدة، ص211؛ جاغلار: يوسف، وصالح كولن: المحمل الشريف ورحلته إلى الحرمين الشريفين، ترجمة د. حازم سعيد منتصر، أحمد كمال، دار النيل- القاهرة، الطبعة الأولى، 1436هـ/2015م، ص14.

(46) ابن إياس: بدائع الزهور، ج5، ص203؛ الصواف: أهمية ثغر جدة، ص212.

(47) ابن إياس: بدائع الزهور، ج5، ص262؛ الصواف: أهمية ثغر جدة، ص212.

(48) ابن إياس: بدائع الزهور، ج5، ص312-316؛ الصواف: أهمية ثغر جدة، ص213.

وفي تلك الفترة أصبحت جُدة المركز الرئيس لمحاولات العثمانيين فرض نفوذهم الفعلي في اليمن لتأمين مدخل البحر الأحمر. وفي سنة 931هـ (1525م) عين العثمانيون سليمان باشا الخادم والياً على مصر [49].

بيد أن سليمان الخادم فشل في حملته على الهند ولم يستطع أن يجابه القوات البرتغالية هناك، وبعد فشل حملة سليمان باشا الخادم على الهند لم يفكر العثمانيون في سياسة هجومية ضد البرتغاليين وظلوا ينهجون سياسة دفاعية قوامها السيطرة على البحر الأحمر وإغلاقه، كما ترتب على هذه الهزيمة أيضاً أن قام البرتغاليون بشن هجوم كبير في سنة 948هـ على البحر الأحمر هدفه تحطيم الأسطول العثماني في ميناء السويس [50].

وقد تعرض ميناء جُدة لعملية تخريب أثناء مرور الحملة البرتغالية في طريقها إلى السويس، وتنبه شريف مكة الشريف محمد أبو نُمَيّ للخطر المحدق بجدة في غيبة نائبها [51].

وترتب على هذا الهجوم البرتغالي الشامل للبحر الأحمر أن عزم العثمانيون جدياً في إغلاقه في وجه البرتغاليين وقطع الاتصال بين البرتغاليين والأحباش الذي صار تحالفاً أضر بالمسلمين، فنشطت السفن العثمانية في حصار السواحل الحبشية وأخذت تطوف دوريات منتظمة في البحر الأحمر حتى جعلت عملية الاتصال بين الأحباش والبرتغاليين نوعاً من المغامرة، كما بدأ العثمانيون يدعمون قواعدهم البحرية في اليمن[52]، وعندما تمكن العثمانيون من إغلاق البحر الأحمر أصبحوا يحافظون على تدعيم وجودهم العسكري في عدن من آن لآخر فقد أصبحت عدن مركزاً لخط الدفاع الأول عن الحرمين الشريفين، [53] ، ثم عمموا على جميع السفن المسيحية، فكان لا يسمح لها بالإبحار في البحر الأحمر [54].

المبحث الرابع:

(49) النهروالي: البرق اليماني، ص34

(50) سالم: الفتح العثماني الأول لليمن، ص398؛ الصواف: أهمية ثغر جدة، ص215.

(51) دحلان: خلاصة الكلام، ص53. **(وسيأتي بيان دور الشريف أبونمي الثاني في المبحث الرابع)**.

(52) سالم: الفتح العثماني الأول لليمن، ص398؛ الصواف: أهمية ثغر جدة، ص216.

(53) النهروالي: البرق اليماني، ص233؛ الصواف: أهمية ثغر جدة، ص216.

(54) الشناوي: الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، ج2، ص699؛ يوسف فضل حسن: الصراع حول البحر الأحمر منذ أقدم العصور حتى القرن الثامن عشر، مجلة الدارة، العدد الثالث، السنة الثامنة، ربيع الثاني-جمادى الأولى-جمادى الآخرة 1403هـ/ يناير-فبراير-مارس، 1983م، ص117-122.

الدور التاريخي للشريف محمد أبونُمَيّ الثاني
في التصدي للغزو البرتغالي

تمثل هذا الدور التاريخي في تصديه لغزو البرتغاليين "الإفرنج" لميناء جدة؛ وهي من الجهاد في سبيل الله تعالى في – كما أوردت ذلك المصادر التاريخية المكية– أعظم "موانئ" بيت الله الحرام، وكان ذلك قُبيل شهر ذي الحجة أواخر سنة 948 هـ/ أوائل عام 1542م، دخلت طائفة عظيمة من الإفرنج –البرتغاليين– وخربت غالب البنادر، فلما قصدوا جدة المعمورة نزلوا المرسى المعروف بأبي الدوائر في خمس وثمانين برشة "مركباً" مشحونة بالرجال والسلاح فقاتلهم الشريف بنفسه وترك الحج ونزل إلى جدة في جيش عظيم بعد أن أمر بالنداء في نواحي مكة المشرفة من صحبنا فله أجر الجهاد، وعلينا السلاح والنفقة، فبلغ أهل الجهاد مبلغاً عظيماً ، لا يعد ولا يحد ، ونفقة الشريف شاملة للجميع وعيون الكفار تدور عليهم كل حين فتشاهدهم يزيدون عَدَداً وعُدَداً وعيشاً رغداً ، ورجال أبي نمي يتوجهون إلى أطراف البلاد ويحضرون بأنواع الطعام بأغلى ثمن حتى فرغت الحبوب وكادت تعدم فدخروها للخيل ، وأقبلوا على نحر الإبل فكان يأمر بأن ينحر لكل مائة نفس بدنة ناقة أو بعير ..واستمر ذلك مدة فقال له بعض الناس : إن هذا الفعل يستأصل ما عندك من الإبل فأجابه " بأني نويت أنحر ما أملكه ويملكه أولادي وأحفادي , فإذا نفدت الإبل نحرت الخيل ثم كل حيوان يجوز أكله " ، فلما قرب زمن الحج برز أمره إلى ابنه الشريف أحمد بن أبي نمي أن يقابل الأمراء ويلبس الخلع الواردة ويحج بالناس على عادة أجداده. فلما وصل أمراء الحج وبلغوا ما قصدوه فحينئذ توجهوا للقاء الشريف أبي نمي بجدة لإلباسه الخلع، فلاقاهم وهو شاكي السلاح لابساً درعه في هيئة المقاتل، ولما أن قرب الأمراء أمر بطلق المدافع فطلقت لمقابلتهم نحو ثلاث مئة مدفع، فكان (مشهداً عظيماً) فألبسوه الخلع الواردة صحبتهم، وانصرفوا راجعين للحج. ولما رأى الكفار صبره وحصاره لهم انقلبوا خاسئين. ولما بلغ ذلك السلطان سليمان خان زاد في إكرام أبي نمي، وسمح له بنصف معلوم جدة، إلى غير ذلك من الإنعامات التي لا تحصى [55].

(55) السنجاري: منائح الكرم ،ج3، ص300-305؛ الطبري: إتحاف فضلاء الزمن،ج1، ص331-559؛ دحلان: أحمد زيني: مخطوطة (تاريخ الدولة الإسلامية بالجداول المرضية) ،مكتبة الملك عبدالعزيز بالمدينة، ص150؛ وخلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام: ص48-55؛ الحارثي: الاستشراف على تاريخ أبناء محمد الحارث الأشراف، ص138-141.

الخاتمة

خلصت الدراسة إجمالاً إلى توضيح مكانة الحجاز (الديار المقدسة) الشرعية في الكتاب والسنة لدى المسلمين، وأهمية تأمين الملاحة في البحر الأحمر التي تطل عليه تلك الديار وتشكل موانئه الشرقية منافذ وثغور لها، وبيان الأدوار التاريخية للعثمانيين وأشراف مكة في حماية الأراضي المقدسة ورعايتهما.

وكما قدمت الدولة العثمانية وحكومة الأشراف بمكة المكرمة الحماية للأراضي المقدسة، فإن **المملكة العربية السعودية** تقوم منذ نشأتها إلى اليوم بأدوار رائدة ومشهودة في حماية وخدمة ورعاية الحرمين الشريفين وحجاجهما وزوارهما بكل كفاءة واقتدار

قائمة المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم.
2. صحيح البخاري: ابن حجر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ط1، (1433هـ-2012م)، دار الغد الجديد-القاهرة.
3. صحيح مسلم: المنهاج، النووي: شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ط1، (1433هـ/2012م)، دار ابن حزم-بيروت.
4. ابن إياس: محمد بن أحمد الحنفي: (ت 930هـ)، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، ط1، القاهرة.
5. باشا: أحمد تيمور، (1951م-1370هـ)، الآثار النبوية، القاهرة، مطبعة دار الكتاب العربي.
6. باشا: أيوب صبري، (1419 / 1999م)، مرآة جزيرة العرب، ترجمة: متولي والصفصافي ، ط1، دار الآفاق العربية.
7. البتنوني: محمد لبيب، الرحلة الحجازية، مكتبة المعارف-الطائف، الطبعة الثالثة.
8. برج، محمد عبد الرحمن: البحر الأحمر عبر التاريخ، (ربيع أول، 1406هـ)، بحث في كتاب ندوة البحر الأحمر التي عقدت في معهد الدراسات الدبلوماسية بالرياض . وزارة الخارجية السعودية.
9. جاغلار: يوسف، وصالح كولن:(1436هـ/2015م)، المحمل الشريف ورحلته إلى الحرمين الشريفين، ترجمة د. حازم سعيد منتصر، أحمد كمال، ط1، دار النيل-القاهرة.
10. جرادات، الرائد وليد محمد، الأهمية الاستراتيجية للبحر الأحمر بين الماضي والحاضر، دار الثقافة.
11. الجمل: شوقي:(1417هـ/1996م)، دور البرتغال الاستعماري في إقليم الخليج، منشورات اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة، بعنوان "إقليم الخليج على مر عصور التاريخ"، حصاد ندوة (4).

12.الحارثي: الشريف محمد بن حسين، (1433هـ/2012م)، الاستشراف على تاريخ أبناء محمد الحارث الأشراف، دراسة تاريخية وثائقية، ط2، مؤسسة الريان –بيروت.

13.الحارثي: محمد بن حسين، (1437هـ/2015م)، الموانئ البحرية الحجازية، كرسي الملك سلمان لدراسات تاريخ مكة المكرمة، جامعة أم القرى.

14.حسون: علي،(1415هـ-1994م)، تاريخ الدولة العثمانية وعلاقاتها الخارجية، ط2، المكتب الإسلامي-بيروت.

15.الحضراوي: أحمد بن محمد، (1423هـ/2002م)، الجواهر المعدة في فضائل جدة، تحقيق: علي عمر، ط1، مكتبة الثقافة الدينية-القاهرة.

16.حقي: إسماعيل حقي جارشلي:(2003م/1424هـ)، أشراف مكة المكرمة وأمراؤها في العهد العثماني، ط1، الدار العربية للموسوعات – بيروت.

17.دحلان: أحمد زيني، (1305هـ)، خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام، ط1، المطبعة الخيرية، مصر.

18.دحلان: أحمد زيني: (ت 1304هـ)، مخطوطة: تاريخ الدولة الإسلامية بالجداول المرضية، مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، المدينة المنورة، مجموعة آل الصافي، مسجلة برقم 617.

19.رفعت: إبراهيم، مرآة الحرمين، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.

20.ابن زنبل: الشيخ أحمد الرمال،(1998م) ،آخرة المماليك أو واقعة السلطان الغوري مع سليم العثماني، تحقيق: عبدالمنعم عامر، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

21.سالم: السيد مصطفى: الفتح العثماني الأول لليمن، دار الأمين للطباعة والنشر-القاهرة، الطبعة الخامسة، 1999م.

22.السباعي ،أحمد، (1420هـ/1999م) ، تاريخ مكة، ط8.

23.السلطان: عبدالله عبدالمحسن:(1984م)، البحر الأحمر والصراع العربي – الإسرائيلي التنافس بين استراتيجيتين، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية-بيروت.

24.السلمان: محمد حميد،(1420هـ/2000م)، الغزو البرتغالي للجنوب العربي والخليج، مركز زايد للتراث والتاريخ –العين.

25.السنجاري: علي تاج الدين بن تقي الدين: (ت 1125هـ)، (1419هـ) ، منائح الكرم في تاريخ مكة والبيت وولاة الحرم، تحقيق: جميل المصري وآخرون، ط1،جامعة أم القرى، مكة.

26.سنوك، المستشرق: ك. سنوك هورخرونيه،(1419هـ / 1999م).صفحات من تاريخ مكة المكرمة، ترجمة علي عودة الشيخ، وآخرين، (بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة)، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض.

27.الشلي: محمد بن أبي بكر: (1424هـ/2003م)، عقد الجواهر والدرر في أخبار القرن الحادي عشر، تحقيق إبراهيم بن أحمد المقحفي، ط1، بمكتبة الإرشاد ومكتبة تريم الحديثة.

28. الشناوي: عبدالعزيز محمد:(1980م)، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة،

29.الشيخ: عبدالرحمن عبدالله، " (1994م)، ترجمة وتعليق" رحلات فارتيما (الحاج يونس المصري)، الهيئة العامة للكتاب.

30.الشيخ: عبدالرحمن عبد الله، (المحرم – جمادى الآخرة، 1421هـ/ مايو-أكتوبر 2000م). ترجمة ثلاث وثائق برتغالية عن خطة للاستيلاء على العالم العربي في مطلع القرن السادس عشر، مجلة عالم المخطوطات والنوادر، العدد الأول، المجلد الخامس، مكتبة الملك عبدالعزيز العامة بالرياض.

31.صابان: سهيل، (محرم 1419هـ / مايو 1998م)، جوانب من الحياة العلمية في الحجاز من خلال بعض الوثائق العثمانية، العدد الأول، مجلة الدرعية.

32.الطبري: علي بن عبدالقادر (ت 1070هـ)، (1416هـ/1996م)، الإرج المسكي في التاريخ المكي، تحقيق أشرف أحمد الجمال، الطبعة الأولى، ، المكتبة التجارية، مكة المكرمة.

33.الطبري المكي: محمد بن علي بن فضل (ت 1173هـ)، (1412هـ/1993م)، إتحاف فضلاء الزمن بتاريخ ولاية بني الحسن، تحقيق محسن محمد حسن سليم، ط1،دار الكتاب الجامعي، القاهرة.

34.عبدالكريم كريم: (شتاء 1418هـ. 1998م)، بلاد الحجاز في المخطوطات المغربية المدونة خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر للهجرة، مجلة التاريخ العربي، العدد الخامس، تصدر عن جمعية المؤرخين المغاربة.

35.العرفج، ناصر عبد العزيز: أهمية الممرات المائية في البحر الأحمر، (ندوة البحر الأحمر)، وزارة الخارجية السعودية، معهد الدراسات الدبلوماسية، طبع في ربيع الأول، 1406هـ.

36.العسكر: عبدالله بن إبراهيم: (10 ربيع الآخر 1426هـ -18 مايو 2005م)، مسيحيون في مكة المكرمة، جريدة الرياض، الأربعاء -العدد 13477.

37.العصامي: عبدالملك بن حسين: (ت 1101هـ)، (1419هـ/ 1998م)، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، تحقيق: عادل عبدالموجود، وعلي معوض، ط1، دار الكتب العلمية –بيروت.

38.العياشي: عبد الله بن محمد بن أبي بكر أبو سالم العياشي: (1037-1090هـ)، (2006م)، الرحلة العياشية، تحقيق: سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، ط1، دار السويدي-أبوظبي.

39.غوري: جيرالد: (2012م)، حكام مكة، ترجمة: رزق الله بطرس، الوراق للنشر – بيروت وبغداد.

40.فائق بكر صواف، ومصطفى محمد رمضان: (ربيع أول، 1401هـ/يناير 1981م)، أهمية ثغر جُدة في النصف الأول من القرن العاشر الهجري، بحث مجلة الدارة، العدد الثاني، السنة السادسة، الرياض.

41.الفاسي: تقي الدين محمد بن أحمد الحسني المكي: (ت 832هـ). (1419هـ / 1998م)، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت .

42.ابن فرج: عبدالقادر بن أحمد بن فرج الجُدي، (ت 1010هـ)، (1408هـ /1988م)، السلاح والعدة في تاريخ جُدة، تحقيق: مصطفى الحدري، ط1، دار ابن كثير، دمشق.

43.فريدون بك: أحمد، (1264هـ)، منشآت السلاطين، المطبعة العامرة، إستانبول.

44.ابن فهد: عزالدين عبدالعزيز: (1406 / 1986م). غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام، تحقيق فهيم محمد شلتوت، ط1، دار التراث بجُدة، من إصدارات مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى.

45.مخلوف: ماجدة، (1426هـ). الخدمات والمرافق العامة في مكة في العهد العثماني، بحث مقدم إلى ندوة مكة عاصمة الثقافة الإسلامية، جامعة أم القرى.

46.متولي: أحمد فؤاد، (1414هـ-1995م)، الفتح العثماني للشام ومصر ومقدماته من واقع الوثائق والمصادر التركية والعربية المعاصرة له، ط1، الزهراء للإعلام العربي – القاهرة.

47.النهروالي: محمد بن أحمد، (1416هـ/1996م)، الإعلام بأعلام بيت الله الحرام، تحقيق هشام عبد العزيز عطا، ط1، المكتبة التجارية، مكة المكرمة.

48.النهروالي: قطب الدين محمد بن أحمد النهروالي المكي (917-ت:990هـ)، (1387هـ/1967م)، البرق اليماني في الفتح العثماني، إشراف: حمد الجاسر، ط1، منشورات دار اليمامة-الرياض،

49.يوسف فضل حسن: (السنة الثامنة، ربيع الثاني-جمادى الأولى-جمادى الآخرة 1403هـ/ يناير-فبراير-مارس، 1983م)، الصراع حول البحر الأحمر منذ أقدم العصور حتى القرن الثامن عشر، مجلة الدارة، العدد الثالث.

* **المراجع الأجنبية:**

50. Afonso de Albuquerque, governor of India: His life, conquests and administration by Edgar Prestage

51. Andrew James McGregor, "A military history of modern Egypt: from the Ottoman Conquest to the Ramadan War", Greenwood Publishing Group